بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 3 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:12\10\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الحديث في مكية سورة الدهر أو مدنيتها، واتضح لدينا أن ابن تيمية ادعى الإجماع على مكية هذه السورة، وبالتالي رتب عليها عدم ارتباطها بأصحاب الكساء عليهم السلام، واتهم العلامة الحلي رحمه الله والعياذ بالله بالكذب والجهل، من دون أن يقدم دليلاً على هذا المدعى، بل ما وصف به غيره وقع فيه.

ولكي يكون البحث مكتملاً، حيث التفت بعض علماء التفسير إلى وجود اختلاف في هذه السورة من ناحية المكية والمدنية، وبالتالي لا يستطيعون أن يستندوا إلى الإجماع.[1]

فبعض علماء التفسير حاول البرهنة على كون هذه السورة مكية، وينبغي أن نعترف بأنه في المباحث التفسيرية للأسف الشديد في قرون متمادية توقف الاجتهاد التفسيري عند علمائنا، يكفينا على ذلك شاهداً الفاصل بين العلامة الطباطبائي رحمه الله وبين من تقدمه من علماء التفسير، فهو فاصل طويل. فهناك مباحث كثيرة بحاجة إلى نظر ورأي وتجديد وما شابه ذلك. في العادة علماؤنا في كتب التفسير يقولون هذه السورة مدنية، لكن هناك من أقام البرهان على كونها مكية.

السيد قطب في ظلال القرآن أشار إلى اختلاف النقولات، فذكر أن كون هذه السورة مكية، وكون هذه السورة مدنية هو احتمال ضعيف لا يلتفت إليه. وبرهن على كونها مكية.

سوف أطرح برهانه بطريقة أدق مما ذكره؛ لنرى بعد ذلك كيف نتعامل مع هذا البرهان.

يوجد طرق لتمييز المكي عن المدني استعملها علماء التفسير، ومن جملة الطرق:

---

[1] من باب اللطيفة: كنت أبحث -يوم أمس- في محرك البحث الجوجل، فوجدت موقع للسلفية، وكان أحدهم يسأل عن مورد بحثنا، حيث نقل استماعه إلى أحد مشايخ الشيعة حيث نقل كلام ابن تيمية بالإجماع، وكنت قد ذكرت هذا الكلام على إحدى القنوات الفضائية. وكان هذا الموقع منصفاً في جوابه، فقد جاء بالروايات والنقولات بكونها مكية ومدنية. وختم بالنتيجة: أن ابن تيمية على الرغم من جلالته وتقواه هو إنسان غير معصوم قد يصيب ويخطئ، فأن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

الطريق الأول: النقل الروائي.

الطريق الثاني: النظر إلى مضمون السورة. هذا المضمون عن يتكلم عن دولة وتشكيلها وجباية زكاة وما شابه ذلك، فلو لم يكن هناك نقل تاريخي فتجزم بمدنية السورة. ومرة تتكلم الآية عن دعوة المسلمين إلى الصبر وتحمل الأذية، فتجزم بكون مكية. ونحن إذا نظرنا إلى مضمون هذه السورة نجزم بأنها مكية.

لتسهيل البحث نقسم المضمون إلى قسمين:

القسم الأول: يتكلم عن أعمال البر وما أعده الله سبحانه وتعالى للأبرار.

القسم الثاني: يدعو النبي الأعظم ﷺ إلى الصبر على حكم الله وقضائه.

إذاً السورة الشريفة ترجع إلى هذين المضمونين، وكلا هذين المضمونين متواجد في السور المكية.

أما المضمون الأول، فيكفيك سورة الواقعة، وأما المضمون الثاني -وهو المهم- كالسورة التي نبحث عنها، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[2] إلى آخر السورة؛ فالدعوة إلى الصبر لحكم الله تعالى وعدم إطاعة الآثم والكفور تكرر المضمون في القرآن الكريم، وفي عدة سر، وفي أجمعها من السور المكية، كسورة طه التي من السور المكية، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى﴾[3] وكذا في سورة غافر المكية، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكارِ﴾[4] وسورة القلم المكية، قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[5] فهذا المضمون الثاني ينسجم مع السور المكية، ولم نجد هذا المضمون في السور المدنية.

---

[2] الإنسان 24
[3] طه 130
[4] غافر 55
[5] القلم 48

في العادة السورة المكية أسلوبها ومضمونها يتكلم عن الأمور الاعتقادية والأمم السابقة وعذاب النار ونعيم الجنة، وهذا موجود في المقطع الأول من السورة، ويدعو النبي ﷺ إلى الصبر والتحمل، وهذا هو المقطع الثاني، هذا هو أسلوب ومضمون السور المكية.

إذاً من خلال المضمون أثبت بعض علماء التفسير مكية السورة، من الناحية الصناعية والفنية هذا الكلام منطقي، فإذا تضاربت النقولات كما في سورة الإنسان، فلا بد كي نرجح أحد طرفي النزاع فنأتي بدليل، وهو مضمون السورة الذي يتناسب مع السور المكية.

هذا هو البرهان الذي أقيم بإضافة بيان إليه لتقويته على كون هذه السورة من السور المكية.

مناقشة هذا القول: أولاً: يستبطن هذا المطلب اعترافاً بعدم إمكانية ترجيح المكية على المدنية بمجرد النقولات التي ذكرها علماء التفسير، وهذا أمر جيد، وهذا يدين ابن تيمية.

ثانياً: أن حصر المضمون في هذه السورة المباركة في هذي المطلبين غير صحيح، إذ من الممكن أن نلتزم أن قوله تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[6] إلى آخره أنها مكية، خصوصاً أنه يوجد قول إن بعض آيات هذه السورة مكية، وهذا ليس بعزيز في سور القرآن الكريم. بل مسلم عند العلماء أنها مكية، لكن بعض هذه الآيات مدنية، أو العكس.

فالآيات التي أمرت بالصبر على حكم الله، والتي لم ترد في أمر النبي ﷺ إلا في سور مكية، إن أخذنا بها غاية ما تقتضي مكية أواخر هذه السورة، ولا تقتضي مكية تمام السورة. فإن الالتزام بكون بعض السور مزيج بين المكي والمدني ليس بعزيز.

ثالثاً: أن بعض هذه المضامين الواردة في هذه السورة تشترك مع سور مدنية باعتراف المستدل، من قبيل ما جاء في سورة آل عمران من الآية 91 إلى الآية 198 التي تدعو إلى التدبر في آيات الله إلى أن تتكلم عن الأبرار. فهذا يشترك مع صدر السورة.

---

[6] الإنسان 24

رابعاً: الآيات التي ترتبط بإطعام الطعام للمكسين واليتيم والأسير في هذه السورة المباركة قد وردت فيها أخبار كثيرة من الفريقين، فلا يمكن ردها بمجرد استحسان ظني، فالروايات في غاية الكثرة، كالدر المنثور للسيوطي، وغيره من المفسرين وأئمة الأحاديث عند السنة والشيعة.

خامساً: فلو سلمنا بمكية السورة، لكن مع ذلك لا يترتب على ذلك ما ذكره ابن تيمية، وهي أن لا تكون السورة ناظرة إلى قصة أصحاب الكساء عليهم السلام؛ لأنه عندنا آيات وسور لا تكون نازلة بالمباشرة في حق أهل البيت عليهم السلام. لكن لانحصار الفعل التي تشير إليه الآية بهم، ورد التعبير في الرواية أنها نازلة في حقهم، انظر إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾[7] مفاد هذه الآية الأمر والطلب، فهي جملة إنشائية، لا أنها تخبر عن حدث وقع في الخارج. ففي كتاب الاحتجاج في حديث المناشدة المروي عن طرقنا وطرق أهل السنة، قول أمير المؤمنين عليه السلام: قَالَ نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً فَكُنْتُ أَنَا الَّذِي قَدَّمَ الصَّدَقَةَ غَيْرِي؟ قَالُوا لَا.[8] مع أن هذه الآية لسانها لسان طلب وإنشاء حيث تطلب من جميع المسلمين، ولكن لم يمتثل هذه الآية إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم بعد ذلك نزل قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ﴾ إلى آخره.

فلو تنزلنا وقلنا سورة الدهر بتمامها أو على الأقل ما يرتبط بالبحث المهم نازلة في مكة المكرمة، لكن هذا لا ينفع في نفي انطباق ما نزل في مكة المكرمة على أصحاب الكساء عليهم السلام، فلا مانع عقلاً أن تكون هذه السورة تتكلم عن حكم كلي، مدح كلي، لمن فيه هذه الصفات، أنه يطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وعندما يطعمون إنما يطعمون لوجه الله إلى آخره، وانحصر تطبيقها بأصحاب الكساء عليهم السلام. فإن الاعتقاد بمكية هذه السورة لا يبطل القضية المعروفة.

---

[7] المجادلة 12

[8] الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ج1، ص: 142.